كتاب اولادي — (تابع ما قبله)

كان او غريباً عناء اما الاناس الذين تربطنا واياهم جامعة الجنس والدين والذين يطيفون بنا والذين نراهم ونعرفهم فعلينا لهم واجب ثابت مكين من الاشفاق والانعطاف والمساعدة الادبية والمادية فلهؤلاء صحت كلمة الاخاء بتمام معناها الجميل لان رجال وطننا الذين اجدادهم اجدادنا والذين حظهم في آتي الايام هو حظنا هم مرتبطون بنا ارتباطاً يوجب علينا محبتهم ومساعدتهم انقياداً لوحي الواجب والمصلحة المشتركة

احبوا بعضكم بعضاً وتعاونوا وتآخوا يا ابناء وطني الاعزاء انتم يا من ستحملون غداً على عواتقكم شؤون هذا الوطن المحبوب وتتولون تصريف الاقدار لخدمة صوالحه . كونوا كالبناء المرصوص فانتم في اشد الحاجة الى مثل هذا التعاون والاخاء وليس ما اوصيكم به من التضامن والانضمام الى بعض بالامر الكبير عليكم بل هو ضروري لمقاومة ما يتهددكم من المخاطر وما يحف بكم من المكاره وسط عجاجة هذه القلاقل والمنازعات التي لا يهدأ ثائرها ووسط هذه الامم والشعوب الآخذة بنمو هائل سريع

واعلموا ان هذه السلالة القوية النشيطة التي انتم منها تتطلب ان تصونوها من الضعف والوهن المجلوبين بما قد يندس في عظمها من سوس الانقسام والاختلاف والتباغض والتخاذل وكلها ادواء شديدة الفتك بالحياة القومية ولا اخالكم ترضون ان تتحكم بها بخطائكم امم وشعوب أخرى وان تضيق عليها الخناق او ان تهزل وتضعف فيستهان بها ويستخف بشأنها فتسحق وتداس بالارجل

احبوا بعضكم بعضاً وتعاونوا وكونوا بعضكم لبعض اخوة ايّا كانت منزلة كل منكم وحيثيته . اقنعوا بعضكم بعضاً انكم متضامنون وان مايصيب البعض من الالم لا بد وان يتناول آجلاً او عاجلاً البعض الاخر ثم الجسم الاجتماعي بجملته

ان واجبات الحياة الخصوصية التي يقضي بها التضامن والاخاء هي دون غيرها خفيفة الحمل لذيذة المساغ في الانفاذ الا ان الحب افضل من الكراهة واجل فائدة منها . واني اجد طبيعياً لمن خصتهم الايام بالمزايا التي يجلبها الذكاء والعلم والتربية ولمن توفرت لهم اسباب اليسار والجاه ان يعطفوا ويرفقوا عن رضى وطيب خاطر بمن فاتتهم تلك المواهب وحرموا تلك الميزات لا سيما وان الرجال الذين عثرت حظوظهم وساء طالعهم وقل نصيبهم من متاع الحياة الدنيا يشعرون من دلائل الانعطاف والمحبة بغير ما يشعر به الاخرون ويعلمون على الاغلب ان يردوها اضعافاً مضاعفة . ولا مشاحة ان الاعمال الطيبة هي بذور تجنى منها احسن الثمار . ولكن سواء كان مرجواً او غير مرجو منها ان تجلب نفعاً فلا تترددوا عن الاكثار منها فان لكم من ذلك مالاً لا يمكن تبديده ولا استنفاده وبعد فهل من حاجة الى المزيد في النصح والارشاد والالحاح بممارسة الاخاء بعد الذي تقدم بيانه وهو فوق الكفاية

ثم لو قلنا ان الصداقة مما يجب التماسه وهي احد مظاهر الاخاء بين الرجال وانه ينبغي معرفة انتقاء الاصدقاء بتمييز وسداد للاسترسال اليهم على غير دخل مع اخلاص في المودة وثبات على عهد الولاء نعم لو قلنا كل ذلك لما كنا الا معيدين مكررين ما كتبه الفلاسفة والحكماء والشعراء في كل آن

وزمان وفي كل بلد وجيل ويلوح لي ان الصداقة هي العبادة الوحيدة التي لم يعرف لها مخالفون معارضون بل هي دين كل نفس كريمة رقيقة الشعور ولقد كان لافونتين صدى الصوت العام عند ما قال في بيت من الشعر نتهجأه اطفالاً ويصح ان نكرره حتى عتبة القبر وهو قوله «ما اجمل واثمن الخل الوفي »

ان الصداقة والامانة والاخلاص كلها كلمات تقع احسن وقع في اذان الشبيبة ولو قدر لها لاسمح الله ان تصم دونها سمعها فقل على الدنيا السلام واعتبر ان ذلك دليل على اقفار السماء والارض من كل شريف كريم من الاخلاق والعواطف وعلى ان الحياة قد اضاعت مزية الوجود بعد ما اصبحت مرعى للشرور ومرتعاً للآثام

الفصل السابع

﴿ الحرية والتسامح ﴾

للانسان الحق في الحرية كما له الحق في العدالة وهو ما دعته الجمعية الوطنية في سنة ١٧٨٩ بالحقوق الطبيعية التي لا تنسخ ولا تتلاشى بمرور الزمان . والحرية انواع عديدة نخص بالذكر منها ثلاثة وان تكن هي نفسها غير واضحة الحدود الفارقة بينها وبين بعضها وهي الحرية الادبية والحرية المدنية والحرية السياسية

فالادبيـة منها هي ما اختصت بحرية الفكر والاعتماد ثم العمل ما دام هذا العمل داخلاً في دائرة الخصوصيات ولا يتعلق امره الا بنا وحدنا دون الشريعة

اما الحرية المدنية فهي التي تتأتى للانسان من الحرية السابقة مختصة بعلائقه مع سائر الناس لا بصفة كونه احد ابناء الحكومة الواحدة وهي شديدة المشاكله للحرية السياسية التي تختلط بها من وجوه كثيرة بحيث لو قلنا ان احداهما تختص بالشرائع المدنية والثانية بالشرائع السياسية لما كان ذلك كافيا للدلالة بصورة بينة جلية على الفارق بينهما وان يكن ليس احسن منه تحديداً ويغلب ان يكون تعيين الحدود الفاصلة بينهما متوقفاً على اعتبارات تختلف باختلاف الاخلاق والعادات السياسية

ولكن هل الانسان حر ادبياً وهل له حرية الفكر وحرية الاعتماد والامضاء

نعم ما دام غير عبد لشهواته السمجة واوهامه السخيفة وعيوبه ورذائله نعم هو حر اذا كان صاحب السلطان على نفسه وكان ذا ارادة وكانت اعماله من وحي العقل

والحرية الادبية هي اثمن واهم ما عداها من انواع الحرية الاخرى وفي امكاننا جميعاً ان نتملق بها ونحويها بتمامها

ان الرجل الصالح الحازم هو حر بنفسه متمتع بحريته لا قبل لاي ظالم كان ان يبلغ منها او يصل اليها . وهي هذه الحرية الادبيـة التي كان يتطلع اليها لافارتين عند ما كتب الابيات التي نلخصها بما يأتي « على هذه الارض كل انسان عبد للالهة او لنفسه او للقدر . فسواء وجدت على ضفاف

السين او التيبر او تحت حكم جمهوري او ملكي كن فاضلاً تكن حراً فانما يتعلق بك امر استقلالك »

وحقيقي ان الفضيلة والارادة تنيلان الاستقلال الداخلي والحرية الادبية وما ذلك بالشيء القليل الذي يزهد منه وان لم يتضمن كل الحرية التي يطمع بها الانسان الفرد وانما فيه ما يكفي لارضاء ضميره دون رغبته واحتياجه الى الاستقلال في العمل وأنفته الطبيعية التي تتطلب اكثر من ذلك

وعندي ان الاجتماع تصبح شؤونه سهلة التدبير لولا ما يتحتم عليه من الواجبات ازاء اعضائه ولو لم يكن مطلوباً منه ضمان الحرية الخارجية وعلى الاخص الحرية الادبية وهي وحدها الجديرة بالبحث والاستقراء في حديثنا هذا

فالحرية المدنية حق طبيعي ثابت من حقوق الانسان لا يزول ولا يبطل

وبماذا تقوم هذه الحرية ؟ ان الذين اذاعوا حقوق الانسان قد حددوها وضمنوها في الدستور الذي انشاؤه فيما بعد ويجوز تلخيصها على الوجه الاتي

حرية الرواح والغدو للانسان دون ان يستطيع احد القبض عليه تعسفاً واستبداداً

حرية الكلام والكتابة والطبع والنشر دون الالتزام بعرض شيء من ذلك اولاً على نظر رقابة ما

حرية العبادة والدين

حرية الاجتماع بهدوء وسكينة وبدون سلاح

حرية التمتع والانتفاع بالممتلكات

والى هذه الانواع ينبغي اضافة حق الاشتراك بالتضامن وهو الحق

الذي كان للجمهوريين فيما مضى بعض التخوف والحذر منه ولكن آثارها اخذت تزول مع الايام وان لم تمح تماماً

وقد ورد في اعلان الحقوق ان الحرية تقوم في فعل ما لا يضر بالغير وعلى ذلك فليس لحقوق الانسان الطبيعية من حدود الا ما اقتضاه وجوب التمتع بهذه الحقوق نفسها من الضمانة للاعضاء الاخرين من الهيأة الاجتماعية

وعلى هذه القاعدة تقوم الشرائع الحرة فيما يختص بالشؤون المدنية وبها ينبغي ان نسترسل ونستهدى في الحياة العملية ولكنها اذا اشارت الى مبلغ حريتنا الشخصية وقيمتها الغالية فما كان ذلك ليفيد ان حرية غيرنا تقل عنها اهمية وشأناً بل انه اذا كان لنا حق المطالبة بالحرية لانفسنا فان علينا واجباً يقابله وهو عدم الاعتداء على حرية مواطنينا مما يوجب العمل بالوصية الآتية وهي دافع عن حريتك واحترم حرية سواك

ولقد جعل اعلان الحقوق التملك والامان من مستلزمات نتائج الحرية

اما فيما يختص بالامان فليس فيه ما يقال لاعتبارها قضية مسلمة . فالحرية الاولى هي الحرية الشخصية وبدونها قيمة لسواها لان الرجل الذي يمكن سجنه بلا مسوغ شرعي لا فائدة له مما أعطيه من حق الكلام والكتابة . ولقد وجب التذكر بما ارتكب من ضروب التعسف والظلم فيما مضى بسبب ما كان من امر تلك الكتب المختومة حتى رؤي من الضروري تقرير مبدأ التأمين على الاشخاص عقيب ذكر الحرية بمطلقها

ولم يكن بد من الكلام عن حق الملكية والتنبيه الى انه بمثابة تكميل للحرية الشخصية وشرط من شروط كيانها . وقد ضمن هذا الحق دستورو

عام ١٧٩١ باعلان مناعته وعدم جواز مساسه والا لعدت مبتورة ناقصة الحريه التي لا تبيح للانسان حق الامتلاك اي حق التمتع بجنى عمله وتعبه ثم استنفاده بلا اهمال او ابقائه من قبيل التحوط او ادخاره على الصورة او على الطريقة التي يراها الاصوب والاصلح

اجل ان الملكية الشخصية هي نتيجة الحرية الشخصية ولا قيام للواحدة بدون الاخرى

ومن ضمن مظاهر حرية الفكر توجد حرية العقائد الفلسفية والدينية ومما لا مشاحة فيه ان كل انسان يعتقد كما يشاء وليس في وسع احد ان يعارضه في ذلك لان ما يجول في اقصى ضميره بعيد عن الوقوع تحت طائلة المراقبة والضغط

ولكن هذه الحرية الادبية في العقيدة لا تكفي وحدها بل يجب ان يكون الانسان حراً في المجاهرة بما يعتقده وان يمارس الدين الذي ينتمي اليه ويؤمن بتعاليمه

ولو اتفق ان الاغلبية او الاجماع التقريبي في امة دان بعقيدة واحدة لما ترتب على ذلك الزام فرد من افرادها بوجوب المشايعة لذلك الدين بل بقي له اتم الحق في اتباع دين آخر مخالف له او ان يكون بلا دين على الاطلاق

وليس اقبح ولا ادعى الى النفرة من منع الانسان من ممارسة دينه او الزامه بممارسة دين لا يعتقد به فذلك ظلم ما بعده ظلم

ولقد يجد المستقصي ان حرية العقائد او كما يدعونها حرية الضمير هي من اعز ما تحرص عليه العقول المتنورة المستقلة ولذا يجب ان تكون مقدسة

وان الانسان لو نظر حواليه لرأى الناس ومنهم من خصه بحبه واحترامه ومنهم ذووالعقول الباهرة والاخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة والكل قد تناهبتهم العقائد المختلفة وتداولتهم الاديان المتنوعة

بل لو فتش بين اعظم نوابغ العصر الماضي لرأى لابلاس العالم الشهير في الفلك والطبيعيات دهرياً عطلاً من الايمان بينما يرى باستور على عكسه شديد التمسك بعقيدته ودينه ثم لسمع فيكتور هيكو الذي ما كان يسلم بقواعد دين من الاديان يعترف بهذا الايمان الروحاني ويبتهل الى الله امام قبر اولاده هاتفاً « في هذا العالم الشفقي النور الضئيل الشعاع كم نتصادم على غير هدى نحن الشيء المحدود بك انت المطلق رب اللانهاية ثم كم يدمينا التعرف بشرائعك ونحن في الظلام . انت ولا شك عادل لانك كائن ولان الشر والموت غير كائنين ولا يمكن ان تكون الا الرحمة والرفق في ارقى مراتب الحياة والنور والضياء في اعالي السماء ونحن لا نستطيع انكارك باكثر مما يسعنا انكار اللا نهاية وهذا الجهد الذي يحاول به الانسان ادراك كنهك يظل على الدوام دون التهجئة من العلم »

للاديان والفلسفات القسط الاوفر في العمل على حل مسائل هذه الحياة وفك عقد الاقدار فلنختر منها ما نشاء ولنترك غيرنا يحتذي مثالنا

فمن كان على يقين منكم ان الحقيقة في جانبه صح له اخضاع سائر الناس لها بل انى له مثل هذا الحق وهذا السلطان

لا جرم ان التسامح فيما نعتده غير صحيح من الاراء لاكبر برهان على تكريم الحقيقة واحترامها

الفصل الثامن

﴿ التثقيف العقلي ﴾

يتعين على الشاب قبل كل شيء ان يعنى بتثقيف قواه الادبية وتهذيبها لانها هي التي تهم في تكوين شخصيته على حين نراها هي ذات الشأن المهمل في تعليمنا الجمهوري

ولئن جاء التثقيف العقلي في الصف الثاني فانما هو مساو للتثقيف الادبي ولا يتسنى للشاب اغفاله الا وكان محدثاً لضرر بليغ يتناوله هو والهيأة الاجتماعية على السواء ومبدداً لقوة اودعتها فيه الطبيعة ومفرطاً باحد واجبات الانسان الجوهرية القائمة بتثقيف نفسه عقلياً وادبياً والسلوك بها في طريق الرقي والكمال

ان التعليم الذي نتلقاه في الصغر وسن المراهقة وان كان الغرض منه توسيع دائرة الفهم واكساب معارف وضعية فهو اقصر من ان يبلغ غاية او ان يحقق مأمولاً وانما هو يمدّ بمبادئ العرفان والاداب جملة ويمهد قواعد العلم وطرقه واساليبه مع ما يرسخه من اسس التثقيف العقلي بحيث لا يعتبر في الحقيقة الا اداة قد سبكت مثلما اتفق لا كما يجب وكان قدر قيمتها معلقاً على وجه الاستخدام الذي يتهيأ لها فلو تركناها وشأنها وابقيناها للصدإ يعلوها ثم يقرضها لما كنا في ذلك الا مبددين لمال عزيز القيمة غالي الثمن ومضيعين عدة سنوات من الشبيبة غير محسوبة من العمر

فلا يصح اذن ان نجعل تثقيف عقولنا واستكمال معارفنا وقفاً على عهد المدرسة وايام التردد عليها بل ان الزمن الذي ندرك فيه معنى الارادة ومبلغ فعلها ونصبح قادرين على التعلم بدون مهذب ومرب الا العقل لهو الزمن الذي يكون الشغل فيه جليل الفائدة بما لا يقاس عليه ما مضى وما فات وانما تكون المعارف التي نكسبها بهذه الكيفية هي معارفنا الحقيقية اذ نستبطن ما كنا تصفحناه سطحياً ونفقه معنى ما تعلمناه ونرى افكاراً باهرة جليلة حيث لم نقرأ الا كلمات بسيطة ويبدو لنا خفي الامر بعد اذ كنا وقفنا عند ظاهره

ولا شيء يمنع الشاب ايا كان مركزه من استتباع هذا العمل الشريف وتعهد نفسه بالتربية والعلم بعد انقضاء زمن الدراسة الثانوية لا سيما وانه يأخذ على الاعم بالاستعداد لممارسة احدى الحرف او الصناعات هذا اذا لم يباشرها حالاً بلا امهال اما الذي يصرف عدة سنوات بعد ذلك لاتمام دروسه العالية لغير قصد الاحتراف فهو نادر قليل المثال

وانك لترى معظم الشبان منا منصرفين الى ان يحرزوا في المدارس الخصوصية وفي كليات الحقوق والطب من المعارف ما يكون ذا علاقة صريحة بالحرفة او الخطة التي اختاروها لانفسهم واما متدربين على العمل في احد المصانع او البيوت التجارية او المصارف المالية او المشاريع الزراعية وما ترتمي مطامعهم في كلتا الحالتين الا الى تعلم حرفة . فاذا كانوا متصفين بالاخلاق التي يمتاز بها الرجل الماضي العزيمة القوي الارادة فقد تحتم عليهم ان يهبوا عملهم كل عنايتهم والتفاتهم وشجاعتهم وليس الافراط في هذا السبيل بالمذموم

ولكن مهما شغلهم عملهم هذا في وسعهم ان يكرسوا بعض الوقت

لتثقيف عقولهم تثقيفاً عاماً شاملاً يعود ولا شك بفوائد جمة على الحرفة الآخذين بمعاطاتها وحذقها

وللتثقيف العقلي فوائد جمة ينتفع منها الانسان واخص مظاهرها تسامي الفكر وتوفر اسباب المعارف وصدق الحكم واصالة الرأي وثباته

وهل من حاجة لان نبين كيف يتم هذا التثقيف وتنال هذه التربية فلقد نرى من عبث الكلام ان نحاول التخصيص والتعيين في الايضاح والبيان اذ ان بلوغ هذه الغاية وتحقيق هذه الامنية ميسر بالف سبيل وسبيل وكلها مفتوحة للسالك ينتهج منها ما شاء تبعاً لاميله الشخصية . والدروس الراقية ايا كانت تؤدي الى الكمال الذي هو ضالة كل طالب وكلها تتضمن مجالاً واسعاً للعمل او للتسلية والراحة العقلية مما لا يغضى عنه ولا يستخف به بل لا بد من الاستمرار على مطالعة احاسن المؤلفات التي انتجها العقل الانساني ولم يكن للتعليم المدرسي منها الا اقل نصيب

لعمري انه توجد مئات من الاسفار التي هي من بنات العصور الخوالي ومواليد الاجيال السوالف مما لا مندوحة عن معرفتها واستقرائها والاكثار من صحبتها وعشرتها حتى تعقد بيننا وبينها مودة محكمة العرى وصداقة موثقة الرباط متنقلين من كونفوشيوس الى كنت ومن هوميروس الى فيكتور هوجو ومن ايشيل الى شكسبير الى كورنيل ومن ريج فيدا الى الكتاب المقدس لنجتني من هذا الحقل الواسع الارجاء ما يغذي العقل والفكر والقلب

ولا بد ايها الشبان من انصاف اعمال معاصريكم بما هي اهل له ولكن مع العودة ما امكنكم الى اساتذة الفكر ومعلمي الانشاء والكلام والاستنارة

بتلك النجوم الزواهر التي اشرقت في سماء عصرنا الادبي العظيم وهم موليير ولافونتين وكورنيل وراسين

اقرأوا هوميروس وفرجيل اقرأوا هوجو ولامارتين وشينيه وغيرهم من الشعراء الذين حلقوا في عالم الخيال وصاغوا عقوداً من الشعر دونها عقود المرجان والدر

وليس بين العلوم أثمن قيمة من التاريخ ولا ادعى منه الى المطالعة اذ يتضمن في تضاعيف سطوره من عبر الحوادث مالا قبل لاي رواية تمثيلية كانت ان تحوي مثله فالحقيقة التي يطلعنا عليها تفوق كل تخيل وتمثيل فكم من فصل يروي لنا عن حياة تقضت بالعذاب والالم وكم من موت حدث على افظع شكل واقبح صورة وكم في هذه الاسفار المعنونة بالمذكرات التي يتواتر ظهورها حيناً بعد حين من حوادث مروعة ودسائس محكمة الحبك وشؤون مضحكة مبكية معاً ففي كلها عبرة بالغة وموعظة مؤثرة ومن لم يستخلص له مغزى ادبياً مما يشاهده حاصلاً حواليه من الامور المعاشية والسياسية خيف عليه ان يتطبع بطباعها ويتخلق باخلاقها على مر الايام وتمادي الزمان

ومهما يكن فالتاريخ على كل حال اجزل فائدة من مطالعة هذه الحكايات الموضوعة وما تتضمنه من الفضائح التي يتخيلها قصصيون وروائيون من الطبقة الثانية فملأوا منها خزائن الكتب حتى صار من اللازم اطراح عشرات منها قبل العثور على كتاب واحد خليق بالمطالعة وفيه لذة ومنه استفادة . ولا شك ان في تحدي هذا الاسلوب القصصي وفيه ما فيه من الفكاهة وتنبيه الفكر سبيلاً سهلاً لتدوين العبر البالغة وتلقين المواعظ النافعة التي

كانت تعافها النفس لمرارتها لولا تلك الحلاوة . ولقد نرى من هـذا القبيل ان رواية من قلم فلوبر او دوده اولوتي اورنه بازين وآخرين غيرهم تتضمن من التعاليم والفوائد ما لا قبل لسفر من اسفار الحكمة والادب والفلسفة والجغرافيا ان يلقن مثله على صورة تستأثر النفس وتسلي الخاطر . ولقـد تنبه لافونتين الى هذا الامر فقال عنه في بعض حكاياته الموضوعة مامفاده « ان الحكمة قد تبعث السآمة اذا القيت خشنة كما هي على علاتها ولكنهـا تسترعي السمع اذا تضمنتها قصة او حكاية »

نعم ان القراءة حسنة ممدوحة في حد ذاتها كيف كانت الا ما كان معدوداً من سقط المتاع لبذاءته وانحطاط شأنه مما يكفي قليل من التبصر والعقل للقضاء عليه واطراحه جانباً . واذا لم يكن للكتاب فضل الا انه يدعو الى اعمال الفكر وتمرينه على هذه الرياضة العقلية لكفى به فضلاً يرفعنا الى ما فوق سفاسف هذه الحياة التي كثيراً ما تغشانا وتكدر علينا صفو العيش

ولقد تبين مونتسكيو ان العمل كان الدواء الشافي له من مكاره هذه الحياة حتى صرح انه ما من مرة ادركته الكآبة الا وسرّتها عنه القراءة

ويوجد نوع آخر من الدراسة لا يقل شانـاً عما تقدم في استجلاب السرور والراحة الى النفس ورفعها من حضيض الصغائر وهو دراسة الفنون ونفائس الآثار التي ابقاها لنا السلف الصالح

والذي يدقق النظر يجد ان تثقيف المتقدمين من تلامذة مدارسنا في هذا الشأن يوشك ان يكون عدماً في حين ان الواجب تعليمهم محبة الجمال والحسن وغرس هذه الملكة فيهم وتعهدها بجميع الوسائل التي توصلها فيهم

اذ لا شيء ابهج من الفن الجميل فهو للعقل عيد دائم وللنظر مسرة تتجدد ولا تنقطع

وما مدرسة الفنون بالمغلقة الابواب دون الطلاب فهي مفتوحة للجميع بلا استثناء وتقوم في هذه المتاحف والآثار الخالدة التي درج اصحابها وماتوا وهي حية باقية تنطق بفضلهم وتحدثنا عن الجدود الكرام وهي ملء السهل والجبل في بلادنا المحبوبة ثم في صور هذه النفائس والابنية النائية عنا التي يتعذر الوصول اليها . ولقد اصبحت الطرائق المستعملة في ايامنا هذه للاستنساخ والنقل وافية وافرة بحيث صار ميسوراً لاي كان ان يظفر منها بنصيب بدون كبير عناء او جهد وان يبلغ منها مبلغ الحذق والاتقان بفضل ما يتمثل امام عينيه من الاعمال الباهرة التي تصح ان تكون قاعدة له يتحداها اولاً مقلداً ثم يبرز فيها مولداً

لا جرم ان من احب الجميل من الفنون على قدر ما توجب المحبة للجميل من الطبيعة وامكنه معرفته وتميزه والاعجاب به فيما يشاهد من آثاره في التصوير والنقش والحفر والهندسة وصار رجلاً خبيراً عارفاً صائب الرأي فيه سديد الحكم فقد جلب لنفسه لذات سامية الشعور ومسرات هي فوق ما يدركه سائر الناس ومهد لها سبيل الكمال فيما يلتمسه لها من وجوه التثقيف الادبي والعقلي

وما حب الجميل الا حب للصالح والطيب والعظيم السامي

واذا كان اسم اثينا قد اجتاز العصور والاجيال دون ان يخلق لمجده جد ولا يبلى له اثر فذلك لان تلك المدينة العظيمة قد عرفت ان تجمع في عصر واحد بين العظمة السياسية والعسكرية وبين الحكمة الفلسفية والجمال التراثي

ولقد كان اهالي أثينا يتناقشون ويتباحثون عن الجميل في ساحتهم العمومية ولا مشاحة بانا لا نزال بعيدين بمراحل عن ادراك ذلك الشأو وبلوغ تلك المنزلة الراقية لانه لو كانت التربية الفنية عندنا افضل مما هي الان لما رأيت هذه الابنية التي تنشأ في بلادنا على اشكال متخالفة وماهي الا تشويه لجمالها ولجمال باريس على الاخص ولذلك فاذا دعونا الشبيبة الناشئة الى الاهتمام بالفنون الجميلة فانما يكون للحيلولة دون تفشي القبح في بلادنا وهي التي عرفت في كل آن وزمان بسلامة الذوق وحسن الاختيار والتنسيق

الفن وليد تلك القوة المولدة التي تسمى بالمخيلة والتي هي أم الشعر والخيال

وما منع الانسان الذي لم يخلق شاعراً او متفنناً او خيالياً ان يكون له في بعض الاحيان مخيلة سريعة التنبه شديدة الشعور اذ لا يتفق انطفاء هذه الشعلة مع العقل السليم والارادة الحاذقة اللذين يعملان بالعكس على تنظيم حركتها واستصلاح شأنها واما المخيلة المشوشة المختلة فهي باعث للاضطراب ومجلبة للقلق

ولا يحسبن ان مرضى الوهم لا وجود لهم الا في الروايات وعلى الملاعب بل هم في الحقيقة اكثر من ان يعدوا مما لا نرى معه داعياً للتوسع في استقراء الاخطار التي تنشأ عن مخيلة مطلقة العنان غير مشرفة على هداية الانسان تؤدي اذا تجاوزت الحد الى فقدان الشعور ثم الجنون التام وما يتداركها مثل العمل والنشاط . واما اذا كانت حليفة الاعتدال يرقبها العقل ويتولاها برعايته فكم تجلب من فائدة وخير وتبعث في القلب من سرور واغتباط